



الرومان وحضارتهم

الفصل الاول: ايطاليا في عصور ما قبل التاريخ

الطبيعة الجغرافية لايطاليا وأثرها في تاريخها الحضاري

تتكون ايطاليا من قسمين رئيسيين : قسم وادي نهر البو في الشمال وشبه الجزيرة الايطالية في الجنوب يتكون القسم الشمالي من سهل واسع تحيط به جبال الالب من الشمال والشرق والغرب ليحد من اتصال ذلك السهل باوروبا الا من خلال مضائق وممرات جبلية صعبة كانت السبيل الذي سلكه اصحاب الهجرات القديمة إلى ايطاليا ويبلغ طول هذا السهل ، من الشرق إلى الغرب خمسمائة كيلومتراً في حين يبلغ عرضه من الشمال إلى الجنوب حوالي مئة كيلومتر تقريباً .

وكانت خصوبة تربة هذا السهل ووفرة مياهه المكونة من نهسر البو وروافده من ابرز عوامل ازدهار الزراعة فيه .

اما القسم الجنوبي فيتكون من شبه جزيرة طويلة تنحصر بين بحري التيراني والادرياتيک وتبدأ من النهايات الجنوبية لسهل البو وتنتهي عند صقلية اي على مسافة حوالي الف كيلومتر من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ولا يزيد عرضها عن ٢٠٠ كيلومتر وتغطي هذا الجزء سلسلة جبال الابنين التي تمتد على طولها بحيث تكون اقرب إلى الساحل الشرقي منه إلى الساحل الغربي وبذلك يكون الساحل الشرقي ضيقاً شديد الانحدار يفتقر إلى السهول الزراعية الخصبة عدا سهل ساحلي فسيح عند ايوليا في الجنوب يهيء مراعي للاغنام والماشية (١).

(١) نصحي ، ابراهيم ، تاريخ الرومان (بيروت ١٩٧١) ص ١٥ .

اما الجانب الغربي فان قلة ارتفاع جبال الابنين فيه وبعدها النسبي عن سواحل البحر التيراني اتاح امرين اولهما هو وجود سهول واسعة مثل سهول اتروريا ولاتيوم وكمانيا والأمر الآخر هو وجود اربعة انهار كبيرة نسبياً ومنها نهر التير (الشكل ١٥) . الا ان الصفة الغالبة على اكثر الجبال التي تنبع من الابنين انها سريعة الجريان تحمل مياهها كثيراً من الطمي والصخور الرملية لتنقلها إلى مصباتها ولذلك لم تعرف ايطاليا موانئ نهريّة كبيرة كما كانت ظاهرة الترسيب من ابرز المشاكل التي عانت منها الموانئ القليلة التي انشئت عند مصبات الانهار مثل ميناء اوستيا عند مصب نهر التير . وفي عدد من مناطق الشاطئ الغربي والجزر المجاورة له عدة براكين بعضها خامدة مثل تلك التي في الاجزاء الشمالية والجنوبية لنهر التير في اتروريا وفي اقليم اتروريا ولاتيوم وكمانيا وبعضها الآخر لازال نشيطاً . وبرغم ما كان لثورات البراكين من نتائج مدمرة كتدمير مدينة بومبي بثورة بركان فيزوف ، فان نتائجها على المدى الطويل كانت مفيدة في تكوين تربة جيدة صالحة لزراعة الكروم بوجه خاص (١) .

وكما كان للعامل الجغرافي تأثيره في حضارة الاغريق كان لذلك العامل ايضاً تأثيره في التاريخ الروماني فالطبيعة الجغرافية لاطاليا كانت اكثر ملائمة من بلاد اليونان في تكوين كيان سياسي موحد الذي كان القاعدة الضرورية للتوسع الخارجي وتكوين الامبراطورية . فالتقسيمات الجغرافية كانت اكبر واقل انغزلاً بعضها عن بعض مثل وادي نهر البو والساحل الغربي والسهل الجنوبي وبذلك كان توحيد سكان تلك الاقاليم تحت حكم مركزي اسهل مما هي عليه في بلاد اليونان كما ان السهول الخصبة في ايطاليا كانت اكثر ملائمة للزراعة والرعي كما ان قلة الموانئ الطبيعية وعدم وجود كثافة في الجزر دفع الاغريق الأوائل للتجارة مع ايطاليا مما كان له التأثير في النقل الحضاري (٢)

(١) ن . م . ص ١٤ .

(2) Betten, op. cit. p. 306.

وبهذا يمكن القول انه برغم ان الحضارة وصلت ايطاليا متأخرة الا ان اسس
لتوسع الامبراطوري كانت مضمونة .

وكان للعامل الجغرافي تأثيره في تحديد اتجاه التوسع الروماني الاول فابتعاد
سلسلة جبال الابنين عن الساحل الغربي اكثر من ابتعادها عن الساحل الشرقي
جعل من الساحل الشرقي صخورياً شديداً الانحدار قليل السكان ، في حين كان
الساحل الغربي واسعاً نسبياً يحتوي على عدد من الموانئ والسهول الصالحة
للزراعة مع كثافة سكانية اعلى . وبهذا يمكن القول ان ايطاليا وبلاد اليونان
وقتنا ظهراً لظهر . واجهت بلاد اليونان حضارات الشرق في حين واجهت
ايطاليا الغرب باتجاه اسبانيا وافريقيا من خلال صقلية . وعلى هذا فحين توافرت
لايطاليا ظروف التوسع خارج اقاليمها كانت انشطتها في هذا المجال موجهة
الى افريقيا واسبانيا وبقية اقاليم الغرب وما ان انتهت من اخضاع تلك الأقاليم
حتى اتجهت نحو بلاد اليونان و اقاليم الشرق .

كما ان العامل الجغرافي جعل من ايطاليا مركزاً للحضارة الاوربية القديمة
وذلك بحكم توسطها للجزء الجنوبي من اوربا ولتوسطها للبحر المتوسط ولقربها
من حضارات الشرق . فحين بدأ نشاطها التوسعي مكنها وضعها المركزي من
قطع الاتصال بين قوات قرطاجة في افريقيا واسبانيا وبين حلفائها في الشرق
كما مكنها ذلك الوضع الجغرافي من مهاجمة اعدائها واحداً تلو آخر (١) .

وما دنا قد تحدثنا عن مزايا وخصائص الموقع الجغرافي لايطاليا ، فلا بد
ان نتحدث عن خصائص الموقع الجغرافي لروما التي قد رلها ان تكون عاصمة
ايطاليا وامبراطوريتها . فقد كانت روما احدى المدن الايطالية ، الا ان ظروفها
الجغرافية منحتها موقعاً متميزاً بين تلك المدن وتكمن تلك الظروف بأربعة
عوامل :

(1) Ibid, p. 307.

اولها : ان روما كانت المدينة المركزية لايطاليا بحكم توسطها لشبه الجزيرة
الأمر الذي مكنها من فرض سيطرتها على بقية اجزاء ايطاليا وتوحيدها. وثانيها وقوعها على نهر التيبر وهو النهر الوحيد تقريباً الصالح للملاحة . فقد كانت
السفن في العهود القديمة تبحر في النهر لتصل روما في حين كانت الزوارق
تنقل من اعالي النهر القمح والنبذ . وبذلك كان للمدينة خصائص ومزايا ميناء
الا انها كانت على بعد كاف عن الساحل ليجعلها في مأمن من غزوات القراصنة .
ومما لا شك فيه ان احد عوامل زعامة روما هو وضعها الاقتصادي (١) .

وثالثها : هو ان روما كانت منذ اقدم عصورها مركزاً هاماً من مراكز
اللاتين ، وكان اقليمهم ، لايتوم ، محاطاً بأقوام معادية من جميع الجهات فقد
كان الأتروسكان في الجانب الآخر من نهر التيبر واستوطن السابينيون
Sabines في الجبال الشرقية وإلى جوارهم استوطن السامينيون Samines وهم
اقوام جبليون اعتادوا غزو جيرانهم من سكان السهول ، لذلك كان
الرومان في مقدمة اللاتين لمواجهة أولئك الأعداء ، فتزعمت روما
قبائل اللاتين من الناحية الحربية كما كان موقع روما ملائماً لاختلاط تلك الأجناس .
ورابعها ، وهو الأخير : وقوع روما على سبعة تلال فعلى خلاف المدن
الاغريقية التي كانت تنتظم حول قمة تل واحد ذي قلعة تشكل نواتها ، كانت
روما تنتظم حول سبعة تلال بمجموعتين يفصل بينهما ساحة متسعة وتقع التلال
السبعة وسط سهل زراعي خصب وهو سهل كفيل / بانتاج ما يسد حاجة عدد
كبير من السكان اذا اعتنى بزراعته (٢) . كما ان هذه التلال ابعدت روما عن
التعرض لفيضانات التيبر . وكان وقوع روما على هذه التلال السبعة احد اسباب
خيبة حصار الغال لروما عام ٣٩٠ ق.م .

(1) Ibid, p. 311.

(٢) نصحي ، م . س . ج . ١ ، ص ٨٧ .

شعوب إيطاليا

إن خصوبة سهول إيطاليا والدفع الذي تمتعت به واعتدال مناخها أدت إلى جذب الجماعات تلو الجماعات من أوربا عبر مضائق جبال الألب وبحر الأدرياتيك إلى إيطاليا بحيث احتوت في بداية العصور التاريخية على خليط غريب من الأجناس البشرية فكان فيها خلال عصر الملوك أربعة أجناس رئيسة هم :

الإيطاليون ، والأغريق ، والأتروسكان ، والغال ، فضلا عن كثير من بقايا المجاميع السكانية القديمة الأخرى .

لقد كان وسط شبه الجزيرة موطن الإيطاليين الذين منحوا اسمهم ولغتهم لشبه الجزيرة وكانوا ينقسمون إلى قسمين رئيسيين ، الإيطاليون الغربيون سكان الأراضي السهلية وهم اللاتين وموطنهم إقليم لايتوم والإيطاليون الشرقيون وهم سكان الأقسام الجبلية ويمثلون القسم الأكبر من الإيطاليين وقسموا بدورهم إلى سابينين وساميين وفولشين وغيرهم (١) .

ومن الأجناس القديمة في إيطاليا هم الأتروسكان الذين انحصر إقليمهم إلى الشمال من إقليم لايتوم على الساحل الغربي والذي يعرف باسم أتورريا أو توسكانيا (٢) (الشكل ١٦) .

أختلفت الآراء في أصل الأتروسكان . فقد وفدوا إلى إيطاليا حسب بعض الآراء من ليديا في آسيا الصغرى ، وهم حسب رأي آخر وفدوا من أواسط أوربا . كما أنهم وفق رأي ثالث ، من أصل إيطالي (٣) . وتشير الدلائل الأثرية إلى أن الحضارة التي أنشأها الأتروسكان كانت متممة لحضارة سبقتهم في إيطاليا عرفت بالحضارة الفيلاوفية فمدنهم قامت في أعقاب قرى فيلانوفية

(1) Betten, Op. cit. pp. 307-8.

Cambridge Ancient History,

Vol. IV, Chs XII-XIII and Vol. VII Ch. XII

(٢) عن الأتروسكان راجع :

(٣) نصحي ، م . س . ج . ص ١٦ .